الرد على أعداء الإصلاح الإسلامي

رشيد رضا: كتب النبهاني كمسجد الضرار

الكاتب

العلامة محمد رشيد رضا

فصول

المنار

المجلد الثالث عشر

١٣١٥

نعم هادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(الاربعاء ٣٠ شوال ١٣٢٨ ـ ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٢٨٦ ـ ١٩١٠ م)

﴿ الرد على أعداء الاصلاح الاسلامي ﴾

تركنا عملنا ورحلنا الى عاصمة دولتنا لاجل السعي العملي النافع لدولتنا وأمتنا وديننا، وكنا نحن نجدون ليلنا ونهارنا في هذا السعي فأخذ المرة بعد المرة مكتوبات من الشرق والغرب والجنوب يطالبنا فيها أصحابها بالرد على الدجالين والمفرقين من أعداء الاصلاح كالنبهاني والشيخ احمد جمال التونسي وصاحب جريدة جديدة في سنغافوره والشيخ محسن العاملي، ويرسلون الينا رسائل وقصائد وجرائد لهؤلاء المفرقين طلاب المال والجاه عند العامة، فما كنا نسمح بأن نضيع شيئا من وقتنا لمطالعة ما يرسلونه الينا من رسائل وجرائد هؤلاء المفسدين لأن الوقت والمال قد صُرفا الى ضد سعيهم، فنحن نشكر للذين طالبونا بالرد غيرتهم ونذكرهم بقوله تعالى (خذ العفو وأْمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ولكني رأيت بعض اخواننا مغرورين بالنبهاني لما كتبه من الاوراد والصلوات ونحوها فأقول لهؤلاء المغرورين ان هذه الكتب كمسجد الضرار صورتها خدمة للدين وهي في معناها مفسدة ضارة

لم يكن يوجد شيء من هذه الكتب وأمثالها في القرون الثلاثة الاولى وهي بشهادة النبي (ص) خير القرون أيام كان الاسلام في كماله الديني، ولا انتشرت في القرون الثلاثة التي بعدها أيام كان الاسلام في كماله المدني، وانما راج أمثال هذه الكتب في أيام ضعف المسلمين في الدين والعلم والمدنية وكانت هذه الكتب من أسباب ضعفهم إذ صرفتهم عما آتاهم الله من المواهب والقوى التي فاز بها سلفهم

وعلقت آمالهم بالأموات ، وصرفتهم عن تدبر القرآن والتعبد به وبما ورد في السنة من الأدعية والأذكار الى أوراد من وضع الناس الذين لا حق لهم في التشريع فيضعوا للناس عبادات جديدة ما أنزل الله بها من سلطان ، وان خلطوها بشيء من المأثور ترويجا لها ، وكتب النبهاني مملوءة بالروايات الموضوعة المكذوبة والمنكرة والضعيفة الشديدة الضعف ولذلك قلنا من قبل انه لا يوثق بعلمه ولا بنقله

كان لهذا الرجل جاه في حكومة الاستبداد الماضية بتملقه لأعوان عبد الحميد الذين كادوا يقضون معه على هذه الدولة وكانوا يستعينون بقصائد النبهاني في مدحهم ومدح سلطانهم على غش الامة به من طريق الدين ، وناهيك بأكاذيب الشعراء المتملقين وتأثيرها الذي يستتبعون به الغاوين ، (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون) كان النبهاني يمدح أبا الهدى لما كانت كلمته عند عبد الحميد هي الكلمة العليا ، فكان يرفعه الى الدرجات العلى ، ويجعله من أئمة الدين ، وأقطاب الأولياء العارفين ، فلما غلبه وبزه عزت العابد في الزلفى قلب له النبهاني ظهر المجن وصار يتقرب الى عزت العابد بذمه ، ويدعي ان عزت هو ركن الدولة والاسلام بعد عبد الحميد الذي يربو غلوه في مدحه على كل غلو

في ظل هذا الجاه الباطل والمدح الكاذب والغش للمسلمين والعثمانيين كان يروج النبهاني كتبه الملفقة وناهيك بنفوذه في المحكمة النظامية ببيروت وكان يمهد بذلك السبيل لادعاء المهدية لنفسه كما نقل الينا بعض المطلعين على مخبآته ، ومن تمهيداته ومقدماته لذلك ما كان يدعيه من الرؤى والمنامات ،

اين المسلمون الذين تركوا الفواحش والمنكرات ، وقاموا بما ورد في الكتاب والسنة من الفرائض والمندوبات ، والأدعية والذكر والفكر ، وسائر أعمال البر ، ثم وجدوا فراغا لقراءة أوراد النبهاني وصلواته . وأين من قرأ التفسير والحديث الصحيح والتوحيد والفقه ثم وجد فراغا لقراءة ما لفقه من الكتب ، وخلط فيه بين الحق والباطل ، ألا إن أمثال هذه الكتب هي التي خدرت أعصاب المسلمين حتى غفلوا عن أنفسهم فملكت الاجانب عليهم أمرهم فليتهم كانوا كذلك الاعرابي الذي حلف انه لا يزيد على ما فرض الله عليه ولا ينقص منه فقال النبي (ص)

« أفلح الأعرابي إن صدق » رواه الشيخان وفي رواية دخل الجنة ان صدق، فان الاسلام ما جاء ليجعل أتباعه كعباد بني اسرائيل في الصوامع، ولا كرهبان النصارى في الاديار، بل جاء ليجعلهم سادة الارض ووارثيها لتكون لهم مزرعة للآخرة

يا حسرة على المسلمين كيف سلبوا استقلال عقولهم و بعدوا عن هداية ربهم وسنة نبيهم وسيرة سلفهم وساروا وراء الدجالين الذين استهووهم وسلبوا منهم قلوبهم وأموالهم ومهدوا بذلك السبيل للأجانب فسلبوا ملكهم وأزالوا من بلادهم حكم شريعتهم، فأضاعوا دينهم ودنياهم، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون،

كان النبهاني يشغل جمهور المسلمين بكتبه وقصائده عن الاخطار المحيطة بهم من كل جانب وعن كل ما يجب عليهم للدفاع عن دينهم وأنفسهم بالخضوع والعبودية الظاهرة للسلطان عبد الحميد ورجاله ، والخضوع والعبودية الباطنة له ولأمثاله ، وما كان انتصارهم لعبادة أصحاب القبور وتأويل عبادتهم بتسميتها توسلا واستشفاعا الا تمهيدًا لانفسهم . وقد فضح الزمان كيدهم الاول ، وكلما استيقظ المسلمون من غفلتهم افتضح كيدهم الآخر (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) والعاقبة للمتقين

ومن أراد الاطلاع على جهل النبهاني وخلطه في كتبه فليقرأ كتاب (غاية الاماني في الرد على النبهاني) وهو مجلدان لاحد العلماء المحققين وقد طبع في مصر

* * *